دكتور
رجب محمد سالم رفاعى

التشبيه البليــغ وأثــره
فى
التصوير البيانى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد الذى خصه ربه بالقرآن الكريم ، المنزل بلسان عربى مبين ، والمعجزة الخالدة إلى يوم الدين ، فقد أعجز العرب ببلاغته ، وبهرهم بروعة نظمه ومعانيه ، فوقفوا أمامه حائرين ؛ إذ ملك عليهم لبهم وعقولهم ، وتحداهم فما استطاعوا إلى دفع تحديه سبيلا ، وهم أهل اللسن والفصاحة ، حيث شعروا بالفرق الكبير الواسع بينه وبين جيد قولهم من منثور ومنظوم .

وعلى آله وأصحابه الذين تأدبوا بآداب القرآن ، وتخلقوا بأخلاقه .

وبعد:

فإنه لما كان الشائع والمشهور عند البلاغيين أن التشبيه البليغ هو ما حذف فيه الوجه والأداة ، وكان ذلك ـ على حد تقديرى وتصورى ـ يوهم لدى القارئ والدارس أن هذا الوصف خاص بهذا النوع دون غيره من أساليب التشبيه التى قد يذكر فيها الوجه أو الأداة ، أردت أن أدفع هذا الوهم ، وأكشف اللثام عما يمكن أن يطلق عليه هذا الوصف من أساليب التشبيه ، وأن أحقق القول فى ذلك فى هذا البحث المتواضع .

وقد رتبت هذا البحث على مقدمة ، وتمهيد وثلاثة فصول ، وخاتمة

أما المقدمة: فقد تضمنت اختيارى لهذا الموضوع ، والمنهج الذى سرت عليه فى البحث .

التمهيد: ويتضمن الإشارة إلى فضيلة التشبيه وأهميته .

الفصل الأول: التشبية البليغ فى نظر البلاغيين .

الفصل الثانى: موقف البلاغيين من التشبيه المحذوف الوجه والأداة

الفصل الثالث: أثر التشبيه البليغ فى التصوير البيانى

الخاتمة: وقد تضمنت أهم نتائج البحث .

وإنى إذ أقدم هذا العمل أعلم علم اليـقين أنه جهد متواضع ، فإن كنت قد وفقت فيه فهـذا فضل من الله ومَنّه ، وإن تكن الأخرى فحـسبى أننى بشر يصيب ويخطئ ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

رب أشرح لى صـدرى ، ويسر لى أمرى ، واحـلل عقدة من لـسانى . يفقهوا قولى .

دكتور

رجب محمد سالم رفاعى

مدرس البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بدسوق

جامعـــــة الأزهـــــر

تمهيد

فى فضيلة التشبيه وأهميته

يعد التشبيه باب من أبواب البلاغة عظيم القدر ، كبير النفع ، جم الفائدة ولذلك فإن المتقدمين من أهل هذا الفن قد أفاضوا فى بيان فضله وعظيم صنعه بالقلوب ، واستيلائه على الأفئدة ، وتناول الحديث عنه خلق كثير ، فكان أسبق مباحث البلاغة استحضارا واستواء ، وقد ذهبوا فى دراسته مذاهب عديدة ، وسلكوا فى التعرف على أسراره مسالك شتى .

بل قد بلغ من عناية القدماء به أن عده قدامة بن جعفر (١) ـ رحمه الله من أغراض الشعر ، إذ جعله رابع المعانى الدال عليها الشعر ، بعد نعت المديح والهجاء والمراثى (٢) .

وقد ذكر المبرد (٣) ـ رحمه الله ـ أن التشبيه جار كثير فى كلام العرب ، حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد ، وقال فى موضوع آخر : التشبيه

(١) قدامة بن جعفر : هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البليغ والفيلسوف المشار إليه بالبنان ، فى علم المنطق والحساب ، أدرك ثعلبا والمبرد وأبا سعيد السكرى وابن قتيبة ، ومن فى طبقتهم ، وبرع فى الحساب والبلاغة ونقد الشعر ، وقد ظهرت آثار علم المنطق فى كتبه . من مؤلفاته كتاب نقد الشعر وكتاب نقد النثر وقد طبعا بمصر . توفى سنة ٣٣٧ .

(٢) نقد الشعر ص ١٢٤ .

(٣) هو محمد بن يزيد الأزدى زعيم المدرسة البصرية ، وإمام النحاة فى عصره وكان من أعلم الناس بمذاهب البصريين فى النحو ومقاييسه ، يقول عنه ابن الأنبارى « كان شيخ أهل النحو والعربية » صنف العديد من الكتب والرسائل فى النحو والتصريف . مثل الإعراب ، وإعراب القرآن . ومن أشهر كتبه المقتضب ، والكامل توفى سنة ٢٨٥هـ .

كثير ، وهو باب كأنه لا آخر له (١) .

وهو بذلك يشير إلى شيوع هذا الفن فى أساليب العربية ، وكثرته فى كلامهم شعرا ونثرا .

وحين سئل بشار (٢) ، بما فقت أهل عمرك ، وسبقت أهل عصرك فى حسن معانى الشعر ، وتهذيب ألفاظه ؟ فقال : لأنى لا أقبل كل ما تورده على قريحتى ، ويناجينى به طبعى ، ويبعثه فكرى ، ونظرت إلى مفارس الفطن ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسرت إليها بفهم جيد ، وغريزة قوية، فأحكمت سبرها ، وانتقيت حرّها ، وكشفت عن حقائقها ، واحترزت من متكلفها ، ولا والله ما ملك قيادى قط الإعجاب بشئ مما آتى به (٣) .

لذلك هجاه حماد عجرد (٤) بأبيات منها قوله .

وأعمى يشبه القرد إذا ما أعجبنى القرد

قال ما حيلتى ؟ يرانى فيشبهنى ، ولا أراه فأشبهه

وفى رواية قال :

شبيه الوجه بالقرد إذا ما عمى القرد

بكى بشار فقال قائل : أتبكى من هجاء حماد ؟ فقال : والله ما أبكى من هجائه ، ولكن أبكى لأنه يرانى ولا أراه ، فيصفنى

(١) الكامل للمبود جـ٢ ص ٧٢ ، ١١٥ .

(٢) بشار بن برد العقيلى ولاء أبو معاذ ، كان ضريرا ونشأ فى البصرة أشعر المولدين مات سنة ١٦٩هـ .

(٣) زهرة الآداب . جـ١ ص ١١٩ .

(٤) حماد عجرد : هو ابن عمر بن يونس بن كليب السوائى . شاعر من الموالى من =

ولا أصفه (١) .

وقد علل محمد الجرجانى (٢) تعظيم البلاغيين للتشبيه بأن ذلك راجع إلى كونه أعلق بالطبع وألذ للنفس (٣) . وهو عند ابن الأثير (٤) يجمع بين ميزات ثلاثة هى : المبالغة ، والبيان والإيجاز (٥) وهو من بين أنواع علم البيان غامض المدرك ، متوعر المسلك ، دقيق المجرى ، عزيز الجدوى ... ولاخلاف بين علماء البيان فى أن التشبيه من أودية البلاغة (٦) كما ذكر العلوى (٧) ـ رحمه الله .

ويقول الشيخ عبد القاهر : والتشبيه ضرب من التصوير ، والتمثيل ضرب من التشبيه ، وهو يعمل فى النفوس عمل السحر ، وذلك أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفى إلى جلى ، وتأتيها بصريح بعد

= مخضومى الدولتين الأموية والعباسية . بينه وبين بشار أهاج فاحشة . توفى سنة ١٦٨هـ .

(١) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى جـ١٤ ص ٣٢٩ .

(٢) هو على بن محمد بن على المعروف بالسيد الشريف من كبار علماء العربية الحنفى المذهب ولد بجرجان سنة (٧٤٠) حاز قصب السبق فى التحرير والتحبير تربو مؤلفاته على خمسين مصنفا منها حاشية على شرح المطول وشرح القسم الثالث من المفتاح . وغيرها توفى سنة (٨١٦)هـ .

(٣) الاشارات والتنبيهات ص ١٧١ .

(٤) هو أبو الفتح نصر الله محمد بن محمد الشيبانى الجزرى الملقب بابن الأثير ، وزير الملك الأفضل ابن صلاح الدين الكاتب الناثر صاحب التصانيف البديعة والتوليد والاختراع فى رسائله . المتوفى سنة ٦٣٧ هـ

(٥) المثل السائر ٢ / ١٧١ .

(٦) ينظر الطراز للعلوى جـ١ ص ٢٦٠ .

(٧) هو يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم العلوى أمير المؤمنين ببلاد اليمن من سنة ٧٢٩إلى سنة ٧٤٩ . من مؤلفاته [الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز] وكتاب [الحاصر لفوائد مقدمة ابن طاهر] توفى سنة ٧٤٩هـ .

مكنى ، وأن تردها فى الشئ تعلمها إياه إلى شئ أخر هى بشأنه أعلم ، وثقتها به فى المعرفة أحكم ، نحو أن تنقل من العقل إلى الإحساس ، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع ، لأن العمل المستفاد من جهة النظر والفكر فى القوة والإستحكام ، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام ؛ كما قالوا : ليس الخبر كالمعاينة ، ولا الظن كاليقين ، فلهذا يحصل بهذا العلم هذا الأنس، أعنى من جهة الإستحكام والقوة (١).

والناظر فى كلام الشيخ عبد القاهر يرى أنه يقيم هذه الفضيلة للتشبيه على أساس تقديره للكلام على ما فيه من تجلية للحقائق وإلف للنفس ، لأن ما يدرك بالحواس.لا ريب فى وضوحه وظهوره ، والتسليم به ، كما يدرك أن الشيخ يشير بهذا إلى المعرفة الأولى للنفوس .

ويقول المرشدى (٢) : « اتفق العلماء على شرف قدره ، وفخامة أمره فى فن البلاغة ، وتعقيب المعانى به لا سيما قسم التمثيل منه فتضاعف قواها فى تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أوذما أو افتخارا ، أو غير ذلك، واذا أردت تحقيق ما قلناه فانظر إلى قول البحترى (٣)

---

(١) ينظر أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر ص ١٠٨ .

(٢) المرشدى : هو العلامة عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد العمرى ، المعروف بالمرشد مفتى مكة شرح عقود الجمان فى المعانى والبيان لجلال الدين السيوطى المتوفى سنة (١٠٣٧هـ) .

(٣) البحترى : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد ، طائى الأب ، شيبانى الأم ، غلب عليه لقب البحترى نسبة إلى عشيرته الطائية بحتر ، ولد سنة (٢٠٤هـ) استيقظت فيه موهبة الشعر مبكرة ، وسرعان ما أخذ يكثر من نظمه فى أغراضه المختلفة . توفى سنة (٢٨٤هـ) . انظر فى البحترى وشعره . الأغانى (طبعه الساسى) ١٨ / ١٦٧ . والموشح للمرزبانى .

دان على أيدى العفاة وشاسع عن كل ندفى الندى وضريب

كالبدر أفرط فى العلو وضوؤه للعصبة السارين جد قريب (١)

وقس حالك وأنت فى البيت الأول لم تنته إلى الثانى على حالك وأنت قد انتهيت إليه ، ووقفت عليه تعلم ما بين حالتيك فى تمكن المعنى لديك(٢).فهذه النقول وغيرها من أقوال العلماء حول فائدة التشبيه وأهميته إنما هى فى مضمونها تشير إلى فضائل التشبيه العامة ومدى ماله من مكانة فى علم البيان ، وأساليب القول ، ويبقى لكل تشبيه فى سياقه فائدة وميزة .

(١) العفاة : جمع عاف وهو طالب الفضل أو الرزق ، والند : المثيل والنظير وعطف ضريب عليه عطف تفسير ، السارون : السائرون ليلا ، وقوله : جد قريب : صفة لمحذوف . أى قريب جد قريب : بمعنى المبالغة فى القرب ، وهو مصدر جد أى اجتهد وبالغ فى أمره . شبه هيئه رفعة الممدوح مع قرب نفعه للسائلين بهيئة ارتفاع البدر مع قرب ضوئه ، والانتفاع به ، والجامع الهيئة الحاصلة من بعد المنال مع قرب النوال .

(٢) ينظر عقود الجمان فى المعانى والبيان لجلال الدين السيوطى بشرح العلامة عبد الرحمن بن عيسى المرشدى جـ٢ ص ٦ .

الفصل الأول

الفصل الأول

التشبيه البليغ فى نظر البلاغيين

من المعروف أن التشبيه له أركان أربعة : المشبه والمشبه به والأداة ووجه الشبه وقد شاع عند البلاغيين إطلاق اسم التشبيه البليغ على المحذوف الأداة ووجه الشبه .

نحو « محمد أسد » وذلك لأن حذف الأداة يشعر بحسب الظاهر بجريان أحدهما على الآخر ، وصدقه عليه ، فيتقوى الاتحاد بينهما ، وحذف الوجه يفيد بحسب الظاهر كون جهة الإلحاق كل وصف كالشجاعة والمهابة والقوة ، وكثرة الجرى ؛ إذ لا ترجيح لبعض الأوصاف على بعض فى الإلحاق عند الحذف ، وذلك يقوى الاتحاد ، بخلاف ما إذا ذكر الوجه فإنه يتعين وجه الإلحاق ، ويبقى حينئذ أوجه الإختلاف على أصلها فيبعد الاتحاد (١) .

لكن هذا التشبيه ـ أعنى ما حذف فيه الأداة ووجه الشبة ـ يفيد القوة لا كونه بليغا مطلقا .

يشير إلى ذلك ما ذكره الخطيب القزوينى (٢) فى مراتب التشبيه حيث يقول : « قد سبق أن أركان التشبيه أربعة : المشبه ، والمشبه به ، وأداة التشبيه، ووجهه . فالحاصل من مراتب التشبيه فى القوة والضعف فى المبالغة باعتبار ذكر

---

(١) راجع شروح التلخيص . جـ٣ ص ٤٧٥ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر من سلائل أبى دلف العجلى أبو المعالى قاض القضاة جلال الدين القزوينى الشافعى . كان رحمه الله ذكيا فصيحا ، خطيبا مفوها . ولد سنة ست وستين وستمائة من مؤلفاته تلخيص المفتاح . والإيضاح لتلخيص المفتاح . توفى سنة ٧٣٩ هـ .

أركانه كلها أوبعضها ثمان : أحدها ذكر الأربعة كقولك ـ زيد كالأسد فى الشجاعة ـ ولا قوة لهذه المرتبة . وثانيها : ترك المشبه ، كقولك : كالأسد فى الشجاعة ـ أى زيد ـ وهى كالأولى فى عدم القوة ، وثالثها : ترك كلمة التشبيه كقولك زيد أسد فى الشجاعة ، وفيها نوع قوة ، ورابعها : ترك المشبه وكلمة التشبيه كقولك : أسد فى الشجاعة ـ أى زيد ، وهى كالثالثة فى القوة . وخامسها : ترك وجه الشبه ، كقولك : زيد كالأسد ـ وفيها نوع قوة لعموم وجه الشبه من حيث الظاهر ، وسادسها : ترك المشبه ووجه التشبيه ، كقولك ـ كالأسد ـ أى زيد ، وهى كالخامسة . وسابعها ترك كلمة التشبيه ووجهه ، كقولك ـ زيد أسد ـ وهى أقوى الجميع ، وثامنها : إفراد المشبه به بالذكر ، كقولك : أسد ـ أى زيد ، وهى كالسابعة (١) .

من ذلك نرى أن التشبيه الذى جمع فيه بين حذف كل من الأداة والوجه هو الأعلى فى القوة لوجود موجبى الإتحاد ، وما وجد فيه أحدهما فقط ، من حذف الأداة أو الوجه فهو المتوسط فى القوة ، وما لم يحذف منه شئ فلا قوة له .

وإذا كان قد شاع عند البلاغيين إطلاق التشبيه البليغ على ما حذف فيه الوجه والأداة نظرا لما يفيده من قوة التشابه ، ودعوى الإتحاد بين المشبه والمشبه به ـ كما هو الظاهر ـ فهل يعنى ذلك قصر الوصف على هذا النوع من التشبيه دون سائر أساليب التشبيه الأخرى التى قد يذكر فيها الوجه أو الأداة ؟ وخاصة أن التشبيهات الجيدة ، لا ترجع إلى كل ما حذف فيها الوجه والأداة فقط ، وإنما ترجع إلى أمور كثيرة ؛ منها ما يقوى فيه وجه الشبه فى المشبه به ، أو أن يكون الوجه غريبا نادرا ... إلى غير ذلك مما يشعر بغرابة التشبيه وندرته .

---

(١) الإيضاح لتلخيص المفتاح . شرح عبد المتعال الصعيدى جـ٣ ص ٨٠ ، ٨١ .

أضف إلى ذلك أن التشبيهات التى وردت فى القرآن الكريم وهو ما هو فى قمة الفصاحة والبلاغة والبيان الغالب منها ذكرت فيه أداة التشبيه .

بل إن بعض التشبيهات لا يصلح فيها حذف الأداة أو الوجه ، لأن ذلك قد يؤدى إلى الإخلال بالمعنى المقصود ، كقول بعضهم : « الأصدقاء كالنار قليلها متاع وكثيرها بوار » فلو حذفنا وقلنا : الأصدقاء النار ، أو الأصدقاء نار ، لأدى ذلك إلى دعوى الاتحاد ، وهو غير مقصود ، ولو لم يذكر ما يشعر بالوجه وهو قوله : « قليلها متاع وكثيرها بوار » لأوهم أن الأصدقاء نار فى كل الصفات ، وهذا الإيهام لا معنى له هنا .

أم أن هذا الوصف ليس قاصرا على ما حذف فيه الأداة والوجه . ؟

والجواب على ذلك يظهر فيما ذكره الخطيب عندما قسم التشبيه إلى قريب مبتذل وإلى بعيد غريب . وعرف القريب البتذل بأنه هو ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر لظهور وجهه فى بادئ الرأى .

وأشار إلى أن سبب ظهور الوجه فيه يرجع إلى أمرين : الأول : كون الشبه أمرا جمليا ـ أى بأن يكون أمرا واحدا لا تركيب فيه ـ كتشبيه الخد بالورد فى الحمرة . والثانى : كونه قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به فى الذهن إما عند حضور المشبه لقرب المناسبة بينهما ، كتشبيه العنبة الكبيرة بالإجّاصية فى الشكل وفى المقدار والجرة الصغيرة بالكوز كذلك . وإما مطلقا لتكراره على الحس ، كما فى تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة فى الاستدارة والاستنارة ، فإن قرب المناسبة والتكرر كل واحد منها يعارض التفصيل لاقتضائه سرعة الإنتقال .

وعرف التشبيه البعيد الغريب : بأنه هو ما لا يُنتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر لخفاء وجهه فى بادئ الرأى، وأشار إلى أن سبب خفائه يرجع إلى أمرين : أحدهما : كونه كثير التفصيل ، كما فى تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل . (١) فإن ما ذكر من الهيئة - أى وجه الشبه - لا يقوم فى نفس الرائى للمرآة الدائمة الإضطراب إلا أن يستأنف تأملا ، ويكون حضور المشبه لبعد المناسبة بينهما كما فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت . (٢) وإما مطلقا لكونه وهميا ، أو مركبا خياليا ، أو عقليا ، كما فى تشبيه نصال السهام بأنياب الأغوال . (٣) وتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من الزبرجد . (٤) وتشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفاراً . (٥) فإن كلا سبب لندرة حضور المشبه فى الذهن .

أو لقلة تكراره على الحس ، كما فى تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل، فإنه ربما يقضى الرجل دهره ولا يتفق له أن يرى مرآة فى يد الأشل .

فالغرابة فى هذا التشبيه من وجهين . (٦)

إذ نراه أى الخطيب - بعد هذا التقسيم وفى آخر كلامه عن التشبيه البعيد

---

(١) فى قول الشاعر :والشمس كالمرآة فى كف الأشل .·. لما رأيتها بدت فوق الجبل

(٢) فى قول الشاعر ؟ ولا زوردية تزهو بزرقتها .·. بين الرياض على حمر اليواقيت

كأنها فوق قامات ضعفن بها .·. أوائل النار فى أطراف كبريت

(٣) فى قول الشاعر : أيقتلنى والمشرفى مضاجعى .·. ومسنونة زرق كأنياب أغوال

(٤) فى قول الشاعر : وكأن محمر الشقيـ .·. ـق إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر .·. ن على رماح من زبرجد

(٥) فى قوله تعالى ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ سورة الجمعة الآية (٥) .

(٦) ينظر الإيضاح لتلخيص المفتاح شرح عبد المتعال جـ ٣ ص ٦٣ ، ٦٤ .

الغريب يقول : « والبليغ من التشبيه ما كان من هذا النوع - أعنى البعيد - لغرابته ؛ ولأن الشئ إذا نيل بعد الطلب له والإشتياق إليه كان نيله أحلى ، وموقعه فى النفس ألطف وبالمسرة أولى » (١) .

هذا . وقد علق الدسوقى على ما ذكره الخطيب بقوله : والحاصل : أن بلاغة التشبيه منظور فيها إلى كونه بعيداً غريبا سواء كان وجه الشبه فيه تركيب من أمور كثيرة أولا ، وسواء ذكرت الأداة أو حذفت ، وحينئذ فإطلاق البليغ على التشبيه الذى حذفت أداته إطلاقاً شائعا طريقة لبعضهم ، وإلا فهو يسمى مؤكداً، وقول المصنف : ما كان من هذا الضرب ليس المراد أنه من أفراد هذا الضرب ، بل المراد أنه نفس هذاالضرب كما علمت . وحينئذ فالأوضح أن يقول : والتشبيه البليغ هو هذا الضرب (٢) .

ويقول الرمانى : والتشبيه البليغ : إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف . (٣)

وخلاصة القول بناء على ما ذكره الخطيب ، وما أشار إليه الدسوقى ، وما قاله الرمانى ، هو أنه إذا كان الشائع والمشهور عند البلاغيين هو أن التشبيه البليغ هو ما حذف فيه الأداة والوجه ، فإن ذلك لا يعنى قصر التشبيه البليغ على هذا النوع من أساليب التشبيه فحسب ، بل يجوز أن يطلق أيضا على ما كان بعيدا غريبا سواء ذكرت فيه الأداة أم لا ؛ وذلك لأن التشبيهات الجيدة لا ترجع فى جودتها إلى حذف الأداة والوجه منها فقط وإنما ترجع فى جودتها إلى أمور كثيرة منها ما يقوى فيه وجه الشبه فى المشبه به ، أو أن يكون الوجه غريبا

(١) ينظر الإيضاح لتلخيص المفتاح شرح عبد المتعال جـ ٣ ص ٧٢ .
(٢) راجع حاشية الدسوقى على مختصر السعد . ضمن شروح التلخيص جـ ٣ ص ٤٥٧
(٣) ينظر النكت فى إعجاز القرآن للرمانى . ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ٨١

نادراً إلى غير ذلك مما يؤدى إلى لطف المعنى ودقته ؛ وذلك لأن المركوز فى الطبع أن الشئ إذا نيل بعد الطلب له والإشتياق إليه ، ومعاناة الحنين كان نيله أحلى ، وموقعه فى النفس أجلّ والطف ، وهى عليه ضنينة ، وبه شغوفة ، فهو كالجوهر فى الصدف ، لا يظهر إلا بعد الشق عليه .

وليس معنى قولهم : إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق منه إلى سمعك يناقض ما سبق ، لأنهم لم يريدوا ظاهر العبارة من أن ما يحوج إلى فكر يناسب الغاية المرجوة يكون لا خير فيه ، ولا يكون بليغا ؛ إذ لو أرادوا ذلك لترتبت أمور واضحة البطلان :

أولا : عدم الفرق بين البعيد والمبتذل .

ثانيا : عدم الفرق بين السامعين فى تفهم الكلام البليغ وتصور معناه .

ثالثا : أن يكون كل من روى شعراً أو حفظه عالما به ، وتكون نسبة بعض الرواة إلى الجهل بالجيد والردئ منه غير مقبولة ، وكان قول مروان بن أبى حفصة :

زوامل للأشعار لا علم عندهم .·. بجيدها إلا كعلم الأباعر

وما أشبه ذلك دعوى غير مسموعة ، ولا مؤهلة للقبول (١) .

المقصود بالبليغ هنا والفرق بين التشبيه الغريب والتعقيد

أولا : المقصود بالبليغ هنا :

المقصود بالبليغ هنا من التشبيه هو ما بلغ درجة القبول حُسنه مما يتخاطب

---

(١) نظرات فى علم البيان للدكتور / محمد عبد الرحمن الكردى ص ١٣٩ .

به أذكياء البلغاء ويستحسنونه فيما بينهم .

فهو مأخوذ من البلاغة بمعنى الحسن واللطف مجازا لا من البلاغة بمعنى مطابقة الكلام لمقتضى الحال . لأن التشبيه المبتذل قد يطابق مقتضى الحال لسوء فهم السامع ، ومع هذا لا يقال عليه بليغ لأنه يتمكن كل أحد منه بلا طلب وتأمل فلا يحصل الشوق إليه .

يقول الدسوقى (١) : « إن المراد بالبليغ هنا الواصل لدرجة القبول فهو من البلوغ بمعنى الوصول ، أو اللطيف الحسن مأخوذ من البلاغة بمعنى اللطف والحسن مجازاً لا من البلاغة المصطلح عليها باعتبار الكلام الذى فيه التشبيه ؛ لأنا نقول بلاغته حينئذ باعتبار المطابقة لمقتضى الحال ، ولا وجه لاختصاص .

الغريب بالبليغ حينئذ ؛ إذ ربما كان القريب المبتذل مطابقا لمقتضى الحال كما إذا كان الخطاب مع شخص يقتضى حاله تشبيها مبتذلا لبلادته وسوء فهمه فلا يكون الغريبْ بليغا ، بل القريب المبتذل » (٢) .

ثانيا : الفرق بين التشبيه الغريب والتعقيد :

الفرق بين التشبيه الغريب والتعقيد : هو أن منشأ الخفاء فى التشبيه هو دقة المعنى ولطفه ، وترتيب بعض المعانى على بعض لحكمة إدراك دقة حسن المناسبة مع صحة الترتيب كما هو واضح فى التشبيهات المركبة ، ولو لا ذلك

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عرفه الدسوقى المالكى الجامع لأشتات الفضائل والمعارف ، المنفرد بتسهيل المعانى ، وتبيين المبانى . ولد بدسوق وحضر إلى القاهر وحفظ القرآن وتلقى العلم على الصعيدى والدردير من مؤلفاته حاشيته على مختصر السعد ، وحاشية على المغنى لابن هشام وغير ذلك من المؤلفات القيمة . توفى سنة ١٢٣٠هـ.

(٢) ينظر حاشية الدسوقى على مختصر السعد . ضمن شروح التخليص جـ ٣ . ص ٤٥٧

ما تفاوت البلغاء فى تعبيراتهم .

أما التعقيد : فهو كون الكلام غير ظاهر الدلالة على المراد لخلل فيه ؛ بأن يكون غامضا غير مفهوم المعنى بسبب تعقيد ألفاظه لسوء تركيبها كقول الفرزدق (١) يمدح إبراهيم المخزومى خال هشام بن عبد الملك بن مروان أحد خلفاء بنى أمية :

وما مثله فى الناس إلا مملكا ... أبو أمه حى أبوه يقاربه (٢)

أو تعقيد معانيه لخلل واقع فى انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلى المعنى الثانى المقصود لكثرة الوسائط مع خفاء القرائن .

كقول عباس بن الأحنف !

سأطلب بُعد الدار عنكم لتقربوا .·. وتسكب عيناى الدموع لتجمدا (٣)

(١) هو همام بن غالب التميمى المعروف بالفرزدق .

(٢) انظر ديوان الفرزدق (١٠٨) قال الخطيب . وكان حقه أن يقول : وما مثله فى الناس حى يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه فإنه مدح إبراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك بن مروان فقال : وما مثله - يعنى إبراهيم الممدوح - فى الناس حى يقاربه - أى أحد يشبهه فى الفضائل - إلا مملكا - فالضمير فى - أمه - للملك - وفى أبوه - للممدوح ، ففصل بين - أبو أمه - وهو مبتدأ - وأبوه - وهو خبره بحى ، وهو أجنبى ، وكذا فصل بين حى ويقاربه وهو نعت حى ، وقدم المستثنى منه ، فهو كما نراه فى غاية التعقيد . انظر الإيضاح شرح عبد المتعال الصعيدى جـ ١ ص ٢٠ .

(٣) البيت لعباس بن الأحنف . حنفى يمانى . خال إبراهيم بن العباس الصولى . انظر الوساطة (٢٣٤) ، المعاهد ص ١٩ ، والشاهد فى البيت التعقيد : وهو ناتج من خلل فى الانتقال من عدم بكاء العين بسبب السرور الحاصل من دوام التلاقى إلى جمودها . فعبر عن السرور وقرار العين بلقاء الحبيب بالجمود ، وهو عدم بكاء العين حين يطلب منها البكاء «شرح التلخيص» للبابرتى تحقيق د.محمد مصطفى رمضان صوفيه ص ١٤٠ .

يقول الخطيب : لا يقال : عدم الظهور ضرب من التعقيد ، والتعقيد مذموم ، لأنا نقول : التعقيد كما سبق (١) له سببان : سوء ترتيب الألفاظ ، واختلال الأنتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثانى الذى هو المراد باللفظ ، والمراد بعدم الظهور فى التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته ، أو ترتيب بعض المعانى على بعض ، كما يشعر بذلك قولنا (٢) فى بادئ الرأى ، فإن المعانى الشريفة لا بد فيها فى غالب الأمر من بناء ثان على أول ، وردتال إلى سابق ، كما فى قول البحترى ـ دان على أيدى العفاة ـ البيتين (٣) . فإنك تحتاج فى تعريف معنى البيت الأول إلى معرفة وجه المجاز فى كونه دانيا وشاسعاً ، ثم تعود إلى ما يعرض البيت الثانى عليك من حال البدر ، ثم تقابل إحدى الصورتين بالأخرى ، وتنظر كيف شرط فى العلو الإفراط ليشاكل قوله ـ شاسع ـ لأن الشسوع هو الشديد من البعد ، ثم قابله بما يشاكله من مراعاة التناهى فى القرب ، فقال ـ جدَ قريب ـ فهذا ونحوه هو المراد بالحاجة إلى الفكر ، وهل شئ أحلى من الفكر إذا صادف نهجا قويما إلى المراد .

قال الجاحظ (٤) فى أثناء فصل يذكر فيه ما فى الفكر من الفضيلة : وأين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ، ولذة السبع بلطع الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالأعداء ، ومن انفتاح باب العلم بعد إدمان قرعه . (٥)

---

(١) ينظر الإيضاح لتلخيص المفتاح . شرح عبد المتعال الصعيدى جـ ١ ص ٢٠ ، ٢١ .

(٢) أى فى تعريف التشبيه البعيد الغريب ص ٦٣ جـ ٣ من الإيضاح لتلخيص المفتاح شرح عبد المتعال .

(٣) البيتان هما : دان على أيدى العفاة وشاسع .·. عن كل نــد فى الندى وضريب
كالبدر أفرط فى العلو وضوءُه .·. للعصبة الساريــن جِـدٌّ قريـب

(٤) راجع البيان والتبيين للجاحظ جـ ٢ ص ٤٦ .

(٥) راجع الإيضاح لتلخيص المفتاح . شرح عبد المتعال . جـ ٣ ص ٧٣ .

الفصل الثانى

موقف البلاغيين من التشبيه المحذوف الوجه والأداة

عرفنا مما تقدم أن نحو « زيد أسد » مما حذف فيه الوجه والأداة وكل ما وقع فيه المشبه به خبراً عن المشبه أو حالا من المشبه أو صفة أنه تشبيه على المختار . كما شاع إطلاق اسم التشبيه البليغ عليه .

ولما كان هناك من البلاغيين من يرى أن مثل ذلك استعارة وليس تشبيها كان ذلك دافعا لعرض آرائهم ، والكشف عن وجهة نظرهم .

الرمانى(١):

يرى أن التشبيه المحذوف الوجه والأداة مثل « محمد أسد » استعارة وليس تشبيه لأن التشبيه عنده لا بد فيه من أداة .

فهو يقول : والفرق بين الاستعارة والتشبيه ، أن ما كان من التشبيه بأداة فى الكلام فهو على أصله لم يتغير عنه فى الاستعمال ، وليس كذلك فى الاستعارة ، لأن مخرج الاستعارة مخرج ما العبارة ليست له فى أصل اللغة.(٢)

---

(١) الرُّمانى : هو أبو الحسن على بن عيسى الرمانى . ولد سنة « ٢٩٦ » هـ بمدينة سامراء، أو بغداد وكان محبا للعلم ، واسع الاطلاع ، متقنا للأدب وعلوم اللغة والنحو ، لذلك لقب بالنحوى المتكلم شيخ العربية ، وصاحب التصانيف ، منها الجامع فى علوم القرآن ، والنكت فى إعجاز القرآن ، وألفات القرآن ، وغيرها من المؤلفات القيمة . توفى سنة ٣٨٦ هـ بعد حياة طويلة حافلة بالعلم .

(٢) النكت فى اعجاز القرآن للرمانى . ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ص ٨٥ ، ٨٦ .

القاضى الجرجانى (١):

لم يوافق على ما ذهب إليه الرمانى فقال . وربما جاء من هذا الباب ما يظنه الناس استعارة وهو تشبيه ، أو مَثَل ، فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكر أنواعاً من الاستعارة عد فيها قول أبى نواس . (٢)

والحب ظهر أنت راكبه .*. فإذا صرفت عنانه انصرفا

ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة ، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهر ، أو الحب كظهر تديره كيف شئت ، إذا ملكت عنانه ، فهو إما ضرب مثل أو تشبيه شئ بشئ ، وإنما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت فى مكان غيرها ، وملاكها تقريب الشبه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى ، حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين فى أحدهما إعراض عن الآخر (٣) .

---

(١) هو أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى الشافعى كان فقيها أديبا شاعراً . من مؤلفاته : الوساطة بين المتنبى وخصومه ، ألفه بعد أن ألف الصاحب كتابه فى مساوئ المتنبى ، فأحسن وأبدع ، وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد فى فصل الخطاب ومنها تفسير الكتاب الكريم ، وكتاب تهذيب التاريخ . وله ديوان شعر كبير . توفى بالرى سلخ صفر سنة (٣٦٦ هـ) وعمره ست وسبعون سنة .

(٢) أبو نواس الحسن بن هانى عبد الأول شاعر العراق فى عصره قال عنه الجاحظ ما رأيت رجلا أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبى نواس . ولد فى الأهواز ونشأ بالبصرة ، ورحل إلى بغداد ، ثم إلى مصر وعاد إلى بغداد ، وتوفى بها سنة ثمان وتسعين ومائة من الهجرة .

(٣) ينظر كتاب الوساطة للقاضى الجرجانى . ص ٤٣ .

الإمام عبد القاهر(١):

وافق الإمام عبد القاهر القاضى الجرجانى فيما ذهب إليه من أن مثل قولنا « زيد أسد » مما حذف فيه الوجه والأداة تشبيه وليس استعارة فقال : اعلم أن الوجه الذى يقتضيه القياس ، وعليه يدل كلام القاضى فى الوساطة أن لا تطلق الإستعارة على نحو قولنا : « زيد أسد » ، و « هند بدر » ولكن نقول : هو تشبيه ، فإذا قال : هو أسد ، لم نقل استعار له اسم الأسد ، ولكن نقول شبهه بالأسد .

ويعلل لذلك : بأنه قد صرح فيه بالمشبه وذكرك له صريحا يأبى أن تتوهم كونه من جنس المشبه به . وأن السامع حين يسمع : « زيد أسد » استحال أن يظن أنك قصدت أسداً ؛ لتصريحك بزيد ، وأكثر ما يمكن أن يدعى تخيله فى هذا ، أن يقع فى نفسه من قولك ؛ « زيد أسد » حال الأسد فى جراءته وإقدامه وبطشه ، فأما أن يقع فى وهمه أنه رجل وأسد معا بالصورة فمحال ، وإنما يكون رجلا وبصفة الأسد ، فيما يرجع إلى غرائز النفوس والأخلاق .

ففى « زيد الأسد » فيما جعلت اسم المشبه به خبراً عن المشبه ، والاسم إذا كان خبرا عن الشئ ، كان خبراً إما لإثبات وصف هو مشتق منه لذلك الشئ كالإنطلاق فى قولك « زيد منطلق » أو إثبات جنسية هو موضوع لها ، كقولك : « هذا رجل » فإذا امتنع فى قولنا : « زيد الأسد » أن تثبت جنس الأسد لزيد على الحقيقة ، كان لإثبات شبه من الجنس له ، وإذا كنا إنما نثبت

---

(١) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى الإمام النحوى المتكلم على مذهب الأشعرى الفقيه الشافعى واضع أسس البلاغة ، والمشيد لأركانها ، وفاتح مغلق أبوابها . من أهم مؤلفاته : دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة توفى سنة (٤٧١) هـ .

شبه الجنس ، فقد اجتلبنا الاسم لنحدث به التشبيه ، فيكون خليقا بأن يسمى تشبيها ، لأن المشبه به إنما جئ لإفادة التشبيه (١) .

وذلك لأن شرط المستعار أن يحصل للمستعار له منافعه ، كما فى قولنا:

« لقيت أسداً » بخلاف « زيد أسد » فإنه لا يقع من زيد ذلك الموقع من حيث أنّ ذكره باسمه يمنع من أن يصير الاسم مطلقا عليه ، ومتناولا له على حد تناوله ما وضع له .

ولكنا نجد الإمام بعد أن أوضح رأيه ، ووافق من ذهب إلى أن مثل «زيد أسد » من باب التشبيه . عاد ففصل فى مثل هذا التركيب وجعله مراتب .

الأول: أن مثل هذا التركيب إذا كان مما يحسن فيه دخول جميع أدوات التشبيه وذلك إذا كان المشبه به معرفة ، نحو « زيد الأسد » أو نكرة موصوفة بما يلائم المشبه به نحو : « زيد أسد هصور » . مثل هذا يكون تشبيها ولا يحسن أن يطلق عليه اسم الاستعارة .

الثانى: أن يكون مما يحسن فيه بعض أدوات التشبيه دون بعض ، وذلك إذا كان المشبه به نكرة غير موصوفة نحو « هند بدر » . فإنك لو قلت : « كأن هنداً بدر » ، كان حسنا ، ولو قلت : « هند كبدر » كان كلاما نازلنا .

مثل هذا يرى فيه أنك لو قلت عليه إنه إستعارة كنت معذوراً .

الثالث: أن لا يحسن فيه دخول شئ من أدوات التشبيه ، إلا إذا حصل تغيير فى صورة الكلام ، وذلك إذا كان المشبه به نكرة موصوفة بما يلائم المشبه ، وليس من أوصاف المشبه به كقولهم : « زيد بدر يسكن الأرض ، وهو بحر

(١) ينظر أسرار البلاغة تعليق وشرح الدكتور / عبد المنعم خفاجى ص ١٨٣ ـ ١٨٧ .

من البلاغة » .

فهو عند عبد القاهر أقرب أن تسميه استعارة .

الرابع: أن يكون مما لا يحسن فيه دخول شئ من أدوات التشبيه ، وذلك لأن فى الصلات أو الصفات التى يجاء بها فى هذا التركيب ما يكون تقدير أداة التشبيه معه مستحيلا كقول المتنبى :

أسد دم الأسد الهزبر خضابه .·. موت فريص الموت منه يرعد (١)

مثل هذا عنده يكون أولى باسم الاستعارة .

إذ يقول : لا سبيل لك إلى أن تقول : هو كالأسد ، وهو كالموت ، لما يكون فى ذلك من التناقض ، لأنك إذا قلت : هو كالأسد ، فقد شبهته بجنس السبع المعروف ، ومحال أن تجعله محمولا فى الشبه على هذا الجنس أولا ، ثم تجعل دم الهزبر الذى هو أقوى الجنس خضاب يده ؛ ، لأن حملك له عليه فى التشبيه دليل على أنه دونه ، وقولك بعد : دم الهزبر من الأسود خضابه دليل على أنه فوقها . وكذلك محال أن تشبهه بالموت المعروف ثم تجعله يخافه وترتعد منه أكتافه . (٢)

تحليل رأى الإمام عبد القاهر ومناقشته :

أولا : لماذا لم تحسن الكاف وحسنت كأن فى الدخول على المشبه به . إذا كان نكرة غير موصوفة نحو « زيد أسد » .

---

(١) هذا البيت للمتنبى فى مدح شجاع بن محمد الطائى المنبجى ، والفريص : جمع فريصة : وهى لحمة بين الثدى والكتف ترعد عند الفزع .
(٢) راجع أسرار البلاغة ص ١٨٩ - ١٩١ .

والجواب على ذلك : هو أن المراد بأسد فرد ما منه ـ أىْ أىَّ أسد ـ لأنه نكرة ، فيلزم القياس بالمجهول . ولما كان الظاهر دعوى حمل الأسد عليه ، والاتحاد بينهما على أنه فرد من أفراده مندرج تحته مبالغةً ، لم يحسن التقدير ـ أى تقدير الكاف ـ حتى لا تفوت هذه المبالغة .

أما كأنَّ فقد حسن دخولها فى مثل هذا التركيب ـ كأن زيداً أسد ـ لأنها أقوى فى الدلالة على إلحاق المشبه بالمشبه به ، فهى تفيد الحكم باتحاد زيد بمفهوم الأسد على وجه الظن .

أما إذا كان معرفة نحو « زيد الأسد » فيجوز جميع الأدوات لأن الظاهر دعوى التشبيه . إذ المقصود تشبيه بحقيقة الأسد وجنسه .

ولذلك يرى فخر الدين الرَّازى (١) أنَّ نحو : « زيد الأسد » بالتعريف كلام مقبول ، وأن نحو « زيد كأسد » بالتنكير كلام نازل غير مقبول بخلاف كأن فإنها تحسن . (٢)

وهذا لا يؤدى إلى العذر فى إطلاق اسم الاستعارة عليه ، لأنه إنما يذهب فقط بدعوى البلاغة .

وحينئذ فالتشبيه هو المجوز للإخبار بأسد عن زيد وحمله عليه .

ثانيا: أن لا يحسن دخول شئ من أدوات التشبيه .

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الطبرستانى الرازى الملقب فخر الدين المشهور بابن الخطيب الفقيه الشافعى ولد سنة (٥٤٤ هـ) بالرى . كان خطيبا مفوها، له مؤلفات فى كثير من الفنون ، منها نهاية الإيجاز فى علوم الإعجاز ، وشرح سقط الزند للمعرى ، وتفسير القرآن الكريم المسمى بمفاتيح الغيب . توفى سنة (٦٠٦ هـ).
(٢) نهاية الإيجاز، ص ٨٧ .

وذلك إذا وصف المشبه به بوصف المشبه أو أن يكون هناك من الصفات والصلات ما يجعل تقدير الأداة مستحيلا ، كما مر واعتبرهما من باب الإستعارة .

ووجهة رأيه فى ذلك هى :

أن إثبات الصفة الجارية على المشبه فى مثل : « زيد بدر يسكن الأرض». وفى « دم الأسد الهزبر خضابه » للمشبه به لو اعتبر تشبيها ، وقدرت الأداة لأصبح المقصود هو إثبات المشابهة ، وضاع إثبات الصفة الذى هو مقصد المتكلم .

ومن أجل إبقاء المقصود من المتكلم لا تقدر الأداة ، فيكون الحكم بالمشابهة غير مراد ، إنما المراد منه شئ آخر وراء المشابهة ، وذلك شأن الاستعارة ، وأيضا هذه الصفة التى أجريت على المشبه به ، وليست من ملائماته لا يصح إجراؤها عليه ، إذا قدرنا ذلك من باب التشبيه ، ولا حظنا تقدير الأداة نحو : هند كبدر يسكن الأرض . نكون قد أردنا من المشبه معناه الحقيقى ، بينما ليس له تلك الصفة ، فلا سبيل إلى إجراء تلك الصفة على المشبه به إلا باعتبار مثل : هذا الكلام استعارة .

وهنا سؤلا يفرض نفسه عن معنى هذه الإستعارة عنده .

هل هى استعارة بالمعنى المعروف لها عند البلاغيين ؟ أو اعتبار هذا استعارة بمعنى أنه إجراء المشبه به على المشبه بطريق الحمل .

أولا : إن كان الإمام عبد القاهر يريد الاستعارة بالمعنى المعروف لها عند البلاغيين ـ أى اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى ـ فالاستعارة تكون حينئذ فى لفظ المشبه به الذى

هو المسند ، وهو المحمول ، أو هو الخبر ، ولا مدخل للفظ المشبه فى الاستعارة .

وإن كانت استعارة بالمعنى الثانى فما أراده البلاغيون من المبالغة لا يمتنع تحققه مع التشبيه ، إذ دخول الأداة لا يمنع من إجراء الصفة على المشبه به ، وإن كانت ليس له ، لأننا حينما نقول : هند بدر يسكن الأرض لم نرد تشبيه هند بالبدر المعتاد ، بل ببدر له تلك الصفة ، وحينما نقول :

زيد موت فريص الموت منه يرعد ، لم ترد تشبيه زيد بالموت المعتاد بل بموت له تلك الصفة ، ونحن نريد المبالغة فى المشبه وإعلاءه عن المشبه به المعتاد، وهذا لا يتم إلا بإجراء تلك الصفة عليه . فلم يمنعنا تقدير أداة التشبيه من إجراء الصفة ، ما دمنا لا نقضى بجعل المشبه به هو البدر المعتاد ، أو الموت المعتاد ، وهو غير مراد لنا .

وعلى هذا فتقدير الأداة ، لا يمنع من تخيل زيادة فرد جديد ، بل هو متحقق معها . وقَصْدُ إثبات تلك الصفة يقتضى أن يكون الحكم إثبات المشبه به للمشبه عن طريق الحمل فأنت تقصد إثبات المشابهة بمشبه به له تلك الصفة العجيبة ، فالبدر أثبت له تلك الصفة ، التى لم تعرف للبدر ، وهو مبنى التخييل لأنه زاد فى جنس البدر واحداً له تلك الصفة . (١)

لذلك نرى أن رأى الإمام عبد القاهر الأول ، وهو أن ما كان محذوف الوجه والأداة تشبيه هو الأولى والأحق بهذا . لا الاستعارة ، وذلك لأن لفظ المشبه به إن كان فيه استعارة ، فلا دخل للمشبه فيها ، بل ذكر ليحمل عليه المعنى الذى أدى باللاستعارة . وهذا ما ذهب إليه الكردى . (٢)

---

(١) أسرار البلاغة ص ١٩١ بتصرف .

(٢) راجع نظرات فى علم البيان للكردى ص ١٥٢ .

موقف الزمخشرى:(١)

يرى الزمخشرى أن مثل ذلك تشبيه ، إذ يقول فى قوله تعالى ﴿ صم بكم عمى ﴾ (٢) فإن قلت : كيف طريقته عند علماء البيان ؟

قلت : طريقة قولهم : هم ليوث للشجعان ، وبحور للأسخياء ، لأن هذا فى الصفات ، وذاك فى الأسماء ، ثم يتساءل : هل يسمى ما فى الآية استعارة ؟

ثم يجيب بقوله : مختلف فيه ، والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة ، لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون ، والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ، ويجعل الكلام خلواً عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه ، لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام ..

وليس لقائل أن يقول : طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ ، فانساق بذلك إلى تسميته استعارة ، لأنه فى حكم المنطوق به ، نظيره قول (٣) من يخاطب الحجاج (٤) .

---

(١) الزمخشرى هو : محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمى ، الزمخشرى جار الله أبو القاسم من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب ، كان معتزلى المذهب، توفى سنة ٥٣٨ هـ انظر ترجمته فى الأنساب للمعانى الورقة (٢٧٧) ومعجم البلدان فى مادة : زمخشر ، ومعجم الأدباء جـ ١٩ ص ١٢٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية (١٨) .

(٣) نسب البيت فى الأغانى لعمران بن حطّان ، ونسب فى حماسة البحترى لأسامة بن سفيان البجلى وفيه - ريبلد - بلد فتخاء ، ينظر الإيضاح شرح عبد / المتعال جـ ٣ ص ٧ .

(٤) هو الحجاج بن يوسف بن أبى مقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بنُ سعد بن عوف بن ثقيف - أو محمد الثقفى ، سمع ابن عباس ، =

أسد على وفي الحروب نعامة .". فتخاء تنفر من صفير الصافر (١)

موقف السكاكي: (٢)

يرى أن التشبيه المحذوف الوجه والأداة مثل « زيد أسد » تشبيه وليس استعارة ، ويستدل على ذلك بقوله : وإنما عد نحو « زيد أسد » .

وقرينه المحذوف المبتدأ تشبيها ؛ لأنك حين أوقعت أسداً وهو مفرد غير جملة خبراً لزيد استدعى أن يكون هو إياه ، مثله في زيد منطلق في أن الذى هو زيد بعينه منطلق ، وإلا كان « زيد أسد » مجرَّد تعديد نحو : خيل ، فرس لا إسناد لكن العقل يأبى أن يكون الذى هو إنسان هو بعينه أسداً ، فيلزم لامتناع جعل اسم الجنس وصفا للإنسان حتى يصح إسناده إلى المبتدأ المصير إلى التشبيه بحذف كلمته قصدا إلى المبالغة (٣) .

موقف الخطيب القزويني:

وافق الخطيب ما ذهب إليه السكاكي من أن ما حذف فيه الوجه والأداة مثل « زيد أسد » تشبيه وليس استعارة معللا لما ذهب إليه بقوله : فالاستعارة

= وروى عن أنس وسمرة بن جندب وآخرون ، ولاه عبد الملك الحجاز فقتل ابن الزبير ، ثم عزله عنها وولاه العراق توفى سنة ٩٥ هـ انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٩ ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(١) راجع تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) السكاكي : هو أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر السكاكي الخوارزمي ، الإمام فى العلوم العربية بيانها وأدبها وعروضها وشعرها ، المتكلم الفقيه . من أشهر مؤلفاته مفتاح العلوم . قسمه ثلاثة أقسام : الأول فى علم الصرف والثاني فى النحو ، والثالث فى علوم المعاني والبيان والبديع . توفى سنة (٦٢٦) هـ .

(٣) ينظر المفتاح : ص ١٩٥ وما بعدها .

ما تضمـن تشبيه معنـاه بما وضع له ، والمراد بمعناه مـا عنى باللفظ واسـتعمل اللفظ فيه ، فعـلى هذا يخرج من تفسير الاستعـارة نحو : زيد أسد ، ورأيت زيداً أسداً ، ومررت بزيد أسـداً مما يكون اللفظ مستعمـلا فيما وضع له ، وإن تضمـن تشبيه شئ بـه ، وذلك لأنه إذا كان معنـاه عين المعنى الموضـوع له لم يصح تشبيه معنـاه بالمعنى الموضوع له ، لاستحالته تشبيـه الشئ بنفسه على أن «ما » فى قولنا : ما تضمن عبارة عن المجاز بـقرينة تقسيم المجاز إلى الاستعارة وغيرها وأسد فى الأمثلة المذكورة ليس بمجاز لكونه مستعملا فيما وضع له.(١)

موقف سعد الدين التفتازانى :(٢)

لم يسلم السعد لما ذهب إليه الخطيب والسكاكى من أن نحو « زيد أسد » مما حذف فيـه الوجه والأداة تشبيه . وذهـب إلى أن مثل ذلك مجـاز واستعارة حيث إنه بعد أن نقل كلام الخطيب اعترض على رأيه واستدلاله . وأخذ يستدل على صحة مـا ذهب إليه بقوله : وفيـه بحث ـ يعنى رأى الخطيـب واستدلاله على أن نحو : « زيد أسـد » تشبيه وليس استعارة ـ لأنـا لا نسلم أن « أسداً » مستعمل فيمـا وضع له ، بل فى معنى الشجاع ، فيكون مـجازاً واستعارة كما فى « رأيت أسداً يرمى » بقرينة حملـه على « زيد » ولا دليل لهم على أن هذا

---

(١) ينظر الإيضاح لتخليص المفتاح شرح عبد المتعال جـ ٣ ص ١٠٧ ، ١٠٨ بتصرف .

(٢) هو مسعود بن عمر بن عبد الله مسعود التفتازانى الإمام العالم بالعلوم العربية والكلام والأصول والمنطق ، ولد بتفتازان وهى بلدة بخراسان فى صفر سنة (٧٢٢) هـ وتلقى العلم على العلامة القطب والعضد وغـيرهما . واشتهر ذكره وطار صيته فى الآفاق،له التآليـف التى تدل على عـظيم قدرته ومزيد فـطنته وذكائه : مـنها الشرحان الـكبير والصغير على تلخـيص المفتاح ، وشرح الرسالة الشمسية المعروف بـالسعدية وغيرها توفى سنة (٧٩٢) هـ ينظر تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص ١٥٠ ، ١٥٢، ١٥٣ .

على حذف أداة التشبيه ، وأن التقدير : زيد كأسد ، واستدلالهم على ذلك بأنه قد أوقع الأسد على زيد ، ومعلوم أن الإنسان لا يكون أسداً ، فوجب المصير إلى التشبيه بحذف أداته قصداً إلى المبالغة فاسد ؛ لأن المصير إلى ذلك إنما يجب إن كان أسد مستعملا فى معناه الحقيقى ، وأما إذا كان مجازا عن الرجل الشجاع فحمله على زيد صحيح ، ويدل على ما ذكرنا : أن المشبه به فى مثل هذا المقام كثيرا ما يتعلق به الجار والمجرور كقوله (١) :

" أسـد علـى وفـى الحـروب نعامـة "

أى مجترئ صائل على ، وكقوله (٢) : والطير أغربة عليه . أى : باكية. (٣)

تحليل رأى السعد ومناقشته :

تضمن كلام السعد عدة نقاط هى :

أولا : عدم التسليم بأن أسداً فى نحو « زيد أسد » مستعمل فيما وضع له، وأنه مستعمل بمعنى الشجاع ، فهو مجاز واستعارة بقرينة حمله على زيد .

ثانيا : نفى دليل الخطيب والاستدلال على بطلانه .

ثالثا : الإستدلال على ما ذهب إليه من أن « أسداً » فى نحو « زيد أسد »

(١) هو لعمران بن قحطان مفتى الخوارج وزاهدهم خطابا للحجاج توبيخا له . أى أنت أسد على ، وأنت نعامة فى الحروب . وتمامه : فتخاء تنفر من صفير الصافى والفتخاء : المسترخية الجناحين عند النزول ، والمراد من قوله : تنفر من صفير الصافر : أى تنزعج من مجرد الصدى .

(٢) هو بعض بيت لأحمد بن عبد الله بن سليمان المشهور بأبى العلاء المعرى من قصيدة له يرثى فيها الشريف الطاهر الموسرى . وتمام البيت : بأسرها وساكنات لصاف - والسراة بالفتح جبال باليمن . والصاف : جبال طئ .

(٣) مختصر السعد . ضمن شروح التخليص جـ ٤ ص ٤٩ - ٥٥ .

مجاز عن الرجل الشجاع وليس مستعملا فى معناه الحقيقى .

هذا وقد تناول الدسوقى هذه النقاط التى تضمنها كلام السعد بالشرح والتحليل وأشار إلى ما يمكن أن يقال من طرف الخطيب رداً على دليل السعد .

فحول النقطة الأولى وهى أن « أسداً » مستعمل هنا بمعنى الشجاع بقرينة حمله على زيد يقول الدسوقى : بناء على كلام السعد يكون لفظ « أسد » له معنيان شبه معناه المراد منه ، وهو الشجاع الذى « زيد » فرد من أفراده بالمعنى الموضوع له ، وهو الحيوان المفترس ، واستعير اسمه له ، فيكون « أسد » حينئذ مجازاً بالاستعارة لصدق تعريفها الذى ذكره الخطيب عليه ، وليس هناك جمع بين الطرفين لما علمت أن زيداً ليس هو المشبه بالأسد الحقيقى ، بل المشبه كلى ، وليس زيد المذكور وهو الشجاع .. واعلم أنه ليس المراد بمعنى الشجاع صورته الذهنية من حيث وجودها وحصولها فى الذهن ، إذ لا يصح تشبيهها بالأسد قطعا ، مع أن التشبيه معتبر فى الاستعارة ، بل المراد به الذات المبهمة المشبهة بالأسد ، وتعلق الجار بالأسد على هذا باعتبار أنه إنما يطلق على تلك الذات مأخوذة مع ذلك الوصف ، فكان الوصف جزء مفهومه المجازى.(١)

وحول النقطة الثانية وهى نفى دليل الخطيب والأستدلال على بطلانه : قال الدسوقى : والحاصل : أن قولنا : « زيد أسد » أصله زيد رجل شجاع كالأسد فحذف المشبه وأداة التشبيه ، وتنوس التشبيه ، واستعمل المشبه به فى معنى المشبه على سبيل الاستعارة ، لأن المشبه وهو الذات المتصفة بالشجاعة لم يذكر لفظه ، وقد ذكر المشبه به مكانه مخبرا به عن زيد ، وأما زيد فليس

(١) ينظر حاشية الدسوقى على مختصر السعد . ضمن شروح التلخيص جـ ٤ ص ٥٢ بتصرف .

مشبها إلا من حيث كونه ذاتا صدقت عليها الشجاعة ، وبتلك الحيثية أخبر عنه، وأما من حيث إنه شخص عين بهذا العلم فليس مشبها هذا وقد ضعَّفَ بعضهم ما قاله الشارح من البحث بأنه لا بد من المبالغة فى الاستعارة ، ولا مبالغة فى قولنا : « زيد رجل شجاع كالأسد » فإن الحكم باتحاد زيد بالرجل الشجاع ، والتشبيه بالأسد يفيد تشبيه زيد بالأسد ولا مبالغة فيه . وَرُدَّ بأنه إذا استعمل لفظ المشبه به فى المشبه وهو الرجل الشجاع كان تشبيهه به مفروغا منه مسلما ، والمقصود الحكم بالاتحاد كما فى : « رأيت أسداً يرمى » ، فإن تشبيه الرجل الشجاع بالأسد مفروغ منه ، والمقصود إيقاع الرؤية عليه فحصلت المبالغة فى الرجل الشجاع باستعمال لفظ المشبه به فيه ، وجعله فرداً ادعائيا له.(١)

وحول النقطة الثالثة وهى ما استدل به السعد على ما ذهب إليه من أن «أسداً » فى نحو « زيد أسد » مجاز عن الرجل الشجاع وليس مستعملا فى معناه الحقيقى كان للدسوقى موقفه المتميز يتجلى فى تحليله لدليل السعد ، والرد عليه .

فذكر أن السعد استدل على أن « أسداً » مستعمل فى الرجل الشجاع ، لا فى الحيوان المفترس الذى وضع له فى نحو : « زيد أسد » وما ماثله من كل تركيب ذكر فيه المشبه والمشبه به بحسب الصورة ، ولم تذكر الأداة بكثرة تعلق الجار والمجرور به ، وتعلق الجار والمجرور به أيضا دليل على أنه مؤول بمشتق كشجاع ومجترئ ونحوهما ، ولو كان المشبه به مستعملا فى معناه الحقيقى ما تعلق به الجار والمجرور لكونه جامداً حينئذ ، والجامد لا يتعلق به الجار والمجرور كقول عمران بن حطان : « أسد على وفى الحروب نعامة » فعلى

(١) حاشية الدسوقى على مختصر السعد . ضمن شروح التلخيص جـ ٤ ص ٥٣ .

متعلق بأسد لكونه بمعنى مجتزئ صائل ، وفى الحرب متعلق بنعامة لكونه بمعنى جبان ، لأن النعامة من أجبن الحيوانات ... وذلك لأن « أسدا » لا يصح تعلق الجار والمجرور به .

ـ كما ذكر السعد ـ الا اذا كان فيه معنى الفعل ، ولا يكون فيه معنى الفعل إلا إذا قصد منه الاجتراء ، والاجتراء لا يكون مقصودا منه إلا إذا استعمل فيه مجازا ، وأما عند استعماله فى المعنى الحقيقى فلا يقصد منه الاجتراء ، وإن كان الاجتراء حاصلا ، وفرق بين حصول الشئ قصداً ، وحصوله من غير قصد . (١)

أما بالنسبة إلى ما يمكن أن يقال من طرف المصنف رداً على دليل الشارح :

فهو أن الجار والمجرور متعلق بالأداة لما فيها من معنى الفعل وهو أشبه كما قيل فى قوله تعالى : ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ (٢) . فإن بمجنون متعلق بما لما فيها من معنى الفعل : أى انتفى ذلك بنعمة ربك ، وكذا يقال هنا المعنى : أنت تشبه الأسد بالنسبة إِلَىَّ ، وحذف ما يتعلق به الجار والمجرور شائع . (٣)

آراء البلاغيين عن التشبيه المحذوف الوجه والأداة فى الميزان :

بالتأمل فيما أورده الدسوقى من تحليلات ومناقشات وتعليقات على

---

(١) حاشية الدسوقى على مختصر السعد . ضمن شروح التلخيص جـ ٤ ص ٥٤ ، ٥٥ بتصرف .

(٢) سورة القلم : الآية (٣) .

(٣) حاشية الدسوقى على مختصر السعد . ضمن شروح التلخيص جـ ٤ ص ٥٥ بتصرف.

اعتراض السعد وما استدل به ، وما أورده الدسوقي أيضا من أقوال البلاغيين في تضعيف اعتراض السعد ، وما استدل به على قوله يسمح بأن نقول :

إن الدسوقي لا يوافق على رأى السعد ويرجح قول الخطيب وقول القوم التابع لهم فى أن التشبيه المحذوف الوجه والأداة تشبيه ، وليس استعارة ، وهذا القول هو ما أميل إليه لأنه الظاهر وعليه أكثر البلاغيين ولم يحتج لتقدير أو تأويل وهو الأولى والأحق بالقبول .

الفصل الثالث

أثر التشبيه البليغ فى التصوير البيانى

أولا : بلاغة التشبيه وأثره فى التصوير البيانى بوجه عام :

قال الرمانى بعد أن عرف التشبيه ومثل له ، وقسمه إلى حسى ونفسى ـ ويعنى بالنفسى العقلى ـ « وهذا الباب يتفاضل فيه الشعراء ، وتظهر فيه بلاغة البلغاء ؛ وذلك أنه يكسب الكلام بياناً عجيبا ، وهو على طبقات فى الحسن... فبلاغة التشبيه الجمع بين شيئين بمعنى يجمعهما يكسب بياناً فيهما . والأظهر الذى يقع فيه البيان بالتشبيه به على وجوه : منها : إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة ، ومنها : إخراج ما لم تَجْرِ بِهِ عادة إلى ما جرت به عادة . ومنها إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة . ومنها إخراج ما لا قوة له فى الصفة إلى ما له قوة فى الصفة » . (١)

فالرمانى قد أشار فى قوله إلى أوجه بلاغة التشبيه ، وما يطفيه على الكلام من روعة وجمال .

إن أسلوب التشبيه ينطوى على كثير من اللطائف ، والأسرار التى تحرك الأحاسيس والمشاعر ، وتهز العواطف ، فهو أسلوب قد أُحسن استخدامه على أتم وجه ، ومن ثم فإنه يؤدى دوره ، وهو متمكن من نفسه ، ثم من نفوس السامعين ، فنجده يؤثر تأثيراً قويا فى النفوس ، ويبرز المعقول فى صورة مجسمة ، ويلبس المعنوى ثوب المحسوس ، ويفصل المجمل ، ويوضح المبهم، ويصيب المعنى ، ولأجل هذا التف حوله الأدباء ، فأصبح الميدان الفسيح الذى يتنافسون فيه لإظهار مواهبهم ، والوسيلة المثلى التى ترنو إليها أبصارهم ،

(١) النكت فى إعجاز القرآن للرمانى . ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ص ٨١ .

وحولها تهفو أمانيهم ليستعينوا بها فى إبراز صورهم الأدبية مثيرة موحية ، معبرة فى قوة ووضوح عن المعنى الذى يسيطر على المقام . (١)

فالتشبيه فى أصله عمل فنى جميل ، يهدف إلى توضيح فكرة أو تقريب معنى من آخر ، أو تمثيل شئ بشئ ، مدحا ، أوذما ، تزيينا أو تقبيحا ، ترغيبا أو ترهيبا .

وهذا أيضا العلوى يكشف النقاب ، ويزيح الستار عن ثمرة التشبيه وفائدته فيقول : « إعلم أنك إذا أردت تشبيه الشئ بغيره ، فإنما تقصد به تقرير المشبه فى النفس ، بصورة المشبه به ، أو بمعناه فيستفاد من ذلك البلاغة فيما قصد به من التشبيه على جميع وجوهه من مدح ، أوذم ، أو ترغيب ، أو ترهيب أو كبر أو صغرٍ ، أو غير ذلك من الوجوه التى يقصد بها التشبيه ، وتراد للإيجاز أيضا ، والأختصار فى اللفظ من تعديد الأوصاف الشبهية ، وتراد للبيان والايضاح أيضا ، فهذه مقاصد ثلاثة . المقصد الأول فى إفادته للبلاغة ، وهذا كقوله تعالى « وله الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام » (٢).

فشبه السفن الجارية على ظهر البحر بالجبال ، فى كبرها وفخامة أمرها على جهة المبالغة فى ذلك . وهكذا القول فى جميع تصرفات التشبيه ، فإنه لا ينفك عن إفادة البلاغة ، وإلا لم يكن تشبيها ، لأن إفادته للبلاغة هو مقصده الأعظم ، وبابه الأوسع ، ولهذا فإنك لا تكاد تجد تشبيها خاليا عن مقصود البلاغة على حال ... المقصد الثانى فى إفادته للإيجاز ، وهذا ظاهر ، فإنك إذا قلت :

« زيد كالأسد » فإن الغرض تشبيهه بالأسد فى شهامة النفس ،

(١) بحوث فى البيان للدكتور / محمود شيخون ص ٢٥٥ .
(٢) سورة الرحمن . الآية (٢٤) .

وقـــوة البطش ، وجراءة الإقدام ، والقدرة على الافتراس ، وغير ذلك من الصفات الفاخرة ، فقد استغنيت بذكر لفظ الأسد عن أن تقول : زيد شَهْم « شجاع قوى البطش جرئ الجنان ، قادر على الاعتداء ، فهذا هو الذى نريده بالإيجاز.... المقصد الثالث فى إفادته للبيان والإيضاح ، وهذه أيضا هى فائدة التشبيه الكبرى ، فإنه يخرج إلى الإيضاح ، والملتبس إلى البيان ، ويكسوه حلة الظهور بعد خفائه ، والبروز بعد استتاره ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم﴾(١) وقوله تعالى ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه ﴾ (٢) فهاتان الآيتان واردتان مثالا وتشبيها بحال أهل النفاق ، وإيضاحا وبياناً لأمرهم فيما ظهر لهم من النور التام بالرسول ﷺ ، وإعراضهم عنه ، فشبه حالهم فى ذلك بالمستوقد للنار ، وبالصيب الذى فيه الرعد والبرق ، كشفا لحالهم فى النفاق ، وإظهاراً لأمرهم فيه ، فنظام هذه الآية وسياقها دالٌ على نهاية الايضاح بالتشبيه وإظهار حالهم به ... ومنه قوله ﷺ « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » (٣) يعنى فى قطع العلائق وخفة الحال ، فإن الغريب لا علقة له فى بلاد الغربة ، وابن

(١) سورة البقرة ـ الآية (١٧) .

(٢) سورة البقرة ـ الآيتان (١٩ ، ٢٠) .

(٣) هذا الحديث رواه البيهقى فى الشعب ، والعسكرى عن ابن عمر مرفوعاً ، وأخرج البخارى عنه فى صحيحه شطره إلى قوله : أو عابر سبيل ، وزاد أحمد والنسائى أوله « أعبد الله كأنك تراه » وأخرجه البخارى عن مجاهد ، ورواه الترمزى وآخرون . انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

السبيل لا لبث له إلا مقدار العبور وقطع المسافة ، فهذا المعنى قد أظهره التشبيه نهاية الظهور وأوضح حاله كما تراه » (١)

وبناء علـى ماتقدم نستـطيع أن نقول : إن بلاغة الـتشبيه تكـمن فى قوة تأثيره ، وإبراز المعقول فى صورة مجـسمة ، وإلباس المعنوى ثوب المحسوس ، والإيجاز فى العبارة ، وإيضاح المعنى ، والمبالغة فى الوصف ، وإصابة المعنى، ورفع الأستار عن الحقائق ، وتقريب المراد للعقل ، وعرضه فى صورة مشوقة، وأساليب التـشبيه الواردة فى القرآن الكريم والسـنة النبوية الشريـفة والمأثور من كلام العرب شعراً ونثراً خير شاهد على إثبات هذه الأسرار البلاغية للتشبيه .

تأمل قول الله تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون (٢) القديم (٣) ﴾ فقد شبه القمر فى نهاية رحلـته بالعرجون القديم ، وهو تشبيه غنى جداً لأن العرجون القديم لا يشارك القمر فى الشكل فحسب ، وإنما هناك معان أخرى منها . أن العرجون القديم كأنه شئ تافه لا يلتفت إليه ، وكذلك القمر فى هذه المرحلة تراه ضالا فى السماء لا تتعلق به الأبصار ، ومنها أن كلا منهما كان موضع العناية ومتعلق الأنظار ، فالعرجون كان حامل الثمر والنفع ، والقمر كان مـرسل النور والهداية ، وقولـه تعالى ﴿ حتـى عاد ﴾ يطوى قصة رحلة طويلة بدأها هلالا ثم مضى فى مسيرة طويلة حتى عاد .... وهذه النهاية متلائمة كـل التلاؤم مع النهايات فـى آيات السياق . انظر : « وآية لـهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » .(٤)

---

(١) ينظر الطراز ليحيى بن حمزة العلوى جـ ١ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٨ .

(٢) العرجون : عود العذق ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة .

(٣) سورة يس . الآية (٣٩) .

(٤) سورة يس . الآيات « ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ » .

الآيات الثلاثة تفوح بريح العدم ، فالنهار بحركته يسلخ من الليل فتبقى الظلمة والجمود ، والشمس تجرى أولا ثم تقف عند مستقرها الأبدى ، والقمر يبدأ قصة مسيرته حتى ينتهى نوره ويعود كأنه موات . (١)

ووجه الشبه هنا كما ترى : هو الدقة والإنحناء والإصفرار ، فالقمر يسير فى منازله حتى يختفى تماما ، ويظهر أول ليلة من الشهر بهذه الصفات ، والعرجون حينما يمضى عليه الحول يدق لجفافه ، وينحنى ويصفر لقدمه .

فقد قرب التشبيه بين الشيئين المتباعدين فى صورة رائعة جميلة ، تأنس بها النفس ويؤمن بها العقل .

وتأمل أيضا قول عمر بن أبى ربيعة يصف محبوبته :

أبرزوها مثلَ المهاة تهادى .:. بين خمس كواعب أتراب (٢)
وهى مكنونةٌ تَحيَّرَ منها .:. فى أديم الخدين ماءُ الشباب
دميةٌ عند راهبٍ ذى اجتهادٍ .:. صوروها فى جانب المحراب
ثم قالوا : تحبها ؟ قلت بَهْراً .:. عدد الرمال والحصى والتراب

لقد أراد عمر أن يصف حبيبته وما يكنه لها من حب ، فلم يعمد إلى

---

(١) التصوير البيانى للدكتور أبو موسى ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) المهاة : البقرة الوحشية ، والمهاة : أيضا البِلَّوْرة . تهادى : التهادى : مشى النساء والإبل الثقال ، وهو مشىٌ فى تمايل وسكون . وكواعب : جمع كاعب ، وكعبت الجارية نهد ثديها قال تعالى « وكواعب أترابا » . والمعنى أن محبوبته مثل المهاة : تهادى بين خمس من الفتيات الناهدات المستويات فى السن . وبهرا : يقال بهراً له : أى تعسا وغلبة . وقيل : معنى بَهْراً فى البيت : جَمّاً ، وقيل عجباً . ينظر اللسان مادة : مها وهدى ، وكعب ، وترب ، وبهر .

نقل آيات الجمال فيها نقلاً جامداً لا حياة فيه ، فقد يسئ مثل هذا النقل إلى الصورة الجميلة الراسخة فى أعماق فؤاده ، وقد لا يقع هذا النقل فى نفس سامعه أو قارئه الموقع الحسن بسبب اختلاف الأذواق ، وتباين مشارب الناس ، وإنما لجأ إلى فن التشبيه ، وغمس أبياته بفيض عاطفته ، وترك بعدئذ لغيره أن يتصور جمال فتاته على الصورة التى يتعشقها فى المرآة .

شبهها - أولا - بالمهاة ، « البقرة الوحشية » ولطالما فُتِنَ العرب بجمال عينى المرأة أولا ونصاعة لونها ثانيا .. واستخدام أداة التشبيه « مثل » بين طرفى التشبيه « فتاته والمهاة » فقال : أبرزوها مثل المهاة .

وشبهها - ثانيا - بدُمية الراهب . وكأنه يعنى تمثال العذراء الذى يقيمه النصارى على جنبات المذبح ، وهو المقصود بكلمة المحراب ، وبالطبع هم يختارون أجمل التماثيل وأحلى الوجوه لها .

وفى هذا التشبيه بالدمية لم يستخدم عمر أى أداة من أدوات التشبيه ، ليدخل فى روعنا أنها والدمية سواء فى الحُسْن والجمال .

ثم تحدث عن مدى حبه لها .. فقال : لو كان الحب يُحْصىَ لبلغ حبى عدد ذرات الرمال والحصى والتراب .

وبذلك استطاع الشاعر أن يمثل لنا الفتاة التى يحبها ويهواها على أجمل صورة تتمثل فى المخيِّلة ؛ إذ أشرك قارئه بانفعالاته النفسية ، وهذه المشاركة بين الصورة فى شكلها ، والعواطف فى جوهرها ، من صميم العمل الفنى الذى هو ثمرة من ثمرات التشبيه ، وأثر من آثاره الجميلة .

ثانيا: بلاغة التشبيه البليغ وأثره فى التصوير البيانى:

رأينا أن التشبيه بوجه عام لون من ألوان التعبير الجميل، وأسلوب فنى رائع من أساليب البلاغة له أثره الواضح فى التصوير البيانى؛ فهو يحرك المشاعر والأحاسيس، ويبعث الحركة والحياة فى الموات، ويأخذ بلب السامع وكنهه، ويثير انتباهه وفكره، إذ يحول المجهول إلى معلوم، والمعدوم إلى موجود، والمستحيل إلى ممكن، والخفى إلى جلى، والقبيح إلى جميل مقبول، والحسن إلى قبيح مرذول. وصدق رسول الله ﷺ حيث قال:

« إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكما » (١).

وإذا كان هذا بلاغة التشبيه وأثره فى التصوير البيانى بصفة عامة، فإن التشبيه البليغ له القسط الأكبر، والحظ الأوفر من هذه الآثار بصفة خاصة، إذ فى هذا النوع من التشبيه يتبارى الأدباء، ويتنافس البلغاء، ويتسابق المتحدثون.

وحيث إنه قد علم مما تقرر فى الفصل الأول أن التشبيه البليغ ليس مقصوراً على ما حذف فيه الوجه والأداة، وإن كان هذا هو الشائع والمشهور عند البلاغيين وذلك لأن التشبيهات الجيدة لا ترجع فى جودتها وحسنها إلى ما حذف فيها الوجه والأداة فقط وإنما ترجع - أيضا - فى جودتها وبلاغتها إلى عدة أمور أخرى؛ منها ما يقوى فيه وجه الشبه فى المشبه به، أو أن يكون الوجه غريبا نادراً يحتاج فى تصوره إلى أعمال فكر وتدقيق نظر وذلك إما: لندرة حضور المشبه به فى الذهن عند استحضار صورة المشبه لبعد المناسبة

---

(١) رواه أحمد وأبو داوود عن ابن عباس، وهو عند مالك وأحمد والبخارى وأبى داوود والترمزى عن ابن عمر بلفظ « إن من البيان لسحراً » وفى رواية البخارى قال « جاء رجلان من الشرق فخطبا فقال ﷺ « إن من البيان لسحراً » انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى جـ ٢ ص ٢٥٣ ط الثانية ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

بينهما ، أو لندرة حضور صورة المشبه به فى الذهن مطلقا ، أو لكثرة التفصيل فى الوجه كما فى التشبيهات المركبة ... إلى غير ذلك مما يراه البلاغيون من محاسن التشبيه ولطافته ودقته وبلاغته .

وهذه نماذج من أساليب التشبيه يرى البلاغيون أنها من بليغ التشبيه .

١ ـ قال تعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها آتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ (١)

فقد شبهت الحياة الدنيا ، بحال نبات كان له سبب هو المطر ، وأن ذلك النبات تم إلى حيث اختلط واشتبك من كل نوع ، مما ينفع الناس والأنعام ، وتزينت به الأرض . وظن أهل الأرض أنهم قادرون عليها ، بحصدها وأخذ خيراتها ، وأنهم بلغوا مرامهم ، وحصلوا على مطلوبهم ، وعندئذ فاجأ أهل هذا الزرع والزينة ، أمر الله ، فجعلها حصيدا يابسا مضمحلا ذاهبا ، كأن لم تعجب بالأمس ، ولم تنبت ولم تكن قبل ذلك من زمان قريب .

فقد شبه حال الدنيا فى تقضّيها بسرعة ، وانقراض نعمها بغتة ، بالكلية بعد ظهور قوتها ، واغترار الناس بها ، واعتمادهم عليها ، بزوال خضرة النبات ، فجأة وذهابه حطاما ، لم يبق له أثر أصلا ، بعدما كان غضا طريا ، قد التف بعضه ببعض ، وزين الأرض بأنواره ، وطراوته وتقويه بعد ضعفه ، بحيث طمع الناس فيه ، وظنوا سلامته من الجوائح ، فتؤخذ الهيئة من مجموع ما ذكر على هذا الترتيب ، فيكون الوجه : حصول شئ يترتب عليه المنافع ، فيحصل السرور به ، وتنسى عاقبة أمره .

(١) سورة يونس : آية (٣٤) .

فوجه الشبه منتزع من جميع هذه الجمل ، من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض ، حتى إنك لو حذفت منها جملة واحدة من أى موضع كان ، أخل ذلك بالمغزى من التشبيه ، لأنها صارت كجملة واحدة .

٢ - ومن ذلك قوله تعالى : **﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾** (١) فقد شبه اتخاذ غير الله متكلا ومعتمدا لهم فى دينهم ، وتولوه من دون الله ، وهو لا ينفع ولا يضر ، بما هو معروف مشهور عند الناس ، من المحسوسات بالعنكبوت فى اتخاذها بيتا وهو مثال فى الوهن ، وضعف القوة، لا يُجِنُّها من شئ ، ولا يكنها من حر ولا برد .وقوله تعالى : **﴿ لو كانوا يعلمون ﴾** متصل بقوله : « اتخذوا » أى لو علموا أن اتخاذ الأولياء كاتخاذ العنكبوت بيتا ضعيفا لا أنهم لا يعلمون أن بيت العنكبوت ضعيف .

فالغرض أن بيت العنكبوت أضعف البيوت ، التى يتخذها الهوام وأقلها وقاية ، فكذلك أولياؤهم فى الضعف والوهن ، وعدم النفع لهم ، ودفع الضر عنهم .

٣ - وقول عدىّ بن الرقاع (٢) :

يحكى أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها (٣)

---

(١) سورة العنكبوت . آية (٤١) .

(٢) عدى بن الرقاع هو : عدى بن زيد مالك بن عدى بن الرقاع من عاملة . شاعر كبير من أهل دمشق - عاصر جريرا وهجاه - مدح بنى أمية خاصة الوليد بن عبد الملك مات حوالى سنة (٥٥هـ) بدمشق .

(٣) روى البيت بدلا من (تحكى) . (تزجى) . أى تسوق والضمير للظبية ، الأغن الذى فى صوته غنة وهو ولد الظبية ، الروق : القرن ، وابرته : طرفه .

المشبه طرف قرن الظبى الصغير ، والمشبة به طرف قلم ، الذى فيه شئ من المداد ، والتشبيه دقيق ، فى ملاحظة الصورة بين الطرفين ، وأنت ترى بُعْدَ ما بين الطرفين ؛ فولد الظبى مكانه الصحراء ، والقلم آداة مكانه القمر ، ومساكن الحضريين .

هذا الجمع بين المتباعدين : هو الذى جعل النقاد يجمعون على الإعجاب بهذا التشبيه حتى إن جريرا (١) الذى أسقط ثمانين شاعرا فى زمانه حين سمع المصراع الأول أشفق عليه ، ما عساه يقول ، وهو عربى لم يتحضر ، فلما سمع المصراع الثانى استحالت الرحمه حسدا ، على إصابته فى هذا التشبيه حين جاء بأقرب صفة من أبعد موصوف .

٤ ـ وقول ابن الرومى فى تشبيه البنفسج (٢) :

ولا زورديـــة تزهـــو بزرقتهـــا بين الرياض على حمر اليواقيت

كأنهـــا فوق قامات ضعفن بها أوائل النار فى أطراف كبريت (٣)

فصورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها فى الذهن ندرة بحر من المسك موجه الذهب . مثلا ؛ لأن الناس يستعملون فى الغالب الكبريت فى النار عند إيقادها ، لكن يندر حضورها عند حضور صورة البنفسج

(١) جرير هو : جرير بن عطية بن حزيفة الخطفى الكلبى اليربوعى من تميم أشعر شعراء أهل عصره ، ولد باليمامة سنة (٢٨هـ) ومات بها سنة (١١٠هـ) .

(٢) ابن الرومى : هو على بن العباس بن جريح ، كان يونانى الأصل كما يشهد بذلك اسم جده ، ونراه فى شعره ينسب نفسه إلى اليونان مرارا ، وقد يسميهم الـــروم ت (٢٨٣) .

(٣) اللازوردية : البنفسج وهى نسبة تشبيهية إلى حجر يسمى اللازورد ، والمراد تشبيهأزهارها ، وقوله ـ تزهو ـ بمعنى تتكبر ، وقوله : حمر اليواقيت : من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وإنما التشبيه بأوائل النار فى أطراف كبريت لأنها فى أعلاها تكون حمراء صافية لازرقاء .

لأن الإنسان إذا خطر البنفسج بباله لا تخطر بباله النار لاسيما فى أطراف الكبريت لما بينهما من غاية البعد لأن البنفسج جرم ندى ، والنار جرم حار يابس ، فإذا خطر البنفسج فى الذهن فإما ينتقل منه عند إدارة التشبيه لما يضاهيه من جنس الأزهار ، لأنه هو الذى يخطر بالبال عند حضور البنفسج فيستطرف المشبه ، وهو صورة البنفسج بسبب ندرة مشاهدة المعانقة والاتصال والجمع بين صورتين متباعدتين : وهما صورة البنفسج وصورة اتصال النار بأوائل الكبريت والحاصل أن بين صورة البنفسج وصورة اتصال النار بأوائل الكبريت غاية البعد ، فعند حضور أحدهما فى الذهن يبعد حضور الآخر فإحضار أحدهما مع الآخر فى غاية الندور . وحينئذ فالاستطراف فى التشبيه المذكور من حيث إنه حقق فيه المعانقة بين صورتين بينهما غاية المباعدة ، وبذلك ظهرت مقدرة الشاعر فى إبراز التشبيه بين متباعدين ، فكان غريبا بليغاً.

٥ ـ وانظر الى قول ابن المعتز (١) :

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجى   تطير غرابا ذا قوادم جون (٢)

يقول فيه الإمام عبد القاهر : إنه من أبلغ الاستقصاء وعجيبه ، شبه ظلام الليل حين يظهر فيه الصبح بأشخاص الغربان ثم شرط أن تكون قوادم ريشها بيضاء ، لأن تلك الفرق من الظلمة تقع فى حواشيها ؛ من حيث يلى

(١) ابن المعتز : هو عبد الله بن المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسى الشاعر المبدع المشهور خصوصا فى التشبيهات . صاحب كتاب البديع خليفة يوم وليلة ولد سنة (٢٤٧هـ) وتوفى سنة (٢٩٦هـ) .

(٢) قوادم الطير : مقاديم ريشه وهى عشرة فى كل جناح . الواحدة : قادمة . الجون : بالضم جمع جون بالفتح وهو الأبيض والأسود والمراد الأول ، شبه الليل الذى فيه تباشير الصبح بغراب قوادم بيض . والبيت فى ديوان ابن المعتز جـ٢ ص ٦٦ ط بيروت .

معظم الصبح وعموده لمع نور يتخيل منها فى العين كشبه قوادم إذا كانت بيضاء، وتمام التدقيق والسحر فى هذا التشبيه فى شئ آخر ، وهو أن جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ، ودفعه لظلام الليل ، كأنه يحفز الدجى ويستعجلها، ولا يرضى منهابأن تتمهل فى حركتها ، ثم لما بدأ ذلك أولا ، اعتبره فى التشبيه آخرا فقال : « تطير غرابا » ولم يقل : غراب يطير ، مثلا ؛ وذلك أن الغراب وكل طائر ، إذا كان واقفا هادئا فى مكان فأزعج وأخيف واطير منه ، أو كان قد حبس فى يد او قفص ، فأرسل ، كان ذلك لا محالة اسرع لطيرانه ، وأعجل فإن تلك الفزعة ، التى تعرض له من تنفيره ، أو الفرحة التى تدركه وتحدث فيه من خلاصه وانفلاته مما دعته إلى أن يستمر حتى يغيب عن الأفق ، ويصير إلى حيث لا تراه العيون ، وليس كذلك إذا طار عن اختيار ، لأنه يجوز حينئذ أن يطير إلى مكان قريب من مكانه الأول وأن لا يسرع فى طيرانه، بل يمشى على هيئة ويتحرك حركة غير المستعجل (١) » .

ومن بديع المركب وبليغه قول الشهاب التلعفرى (٢) :

أفدى الذى زارنى فى الليل مستترا

أحلى من الأمن عند الخائف الدمش

ولاحت الشمس تحكى عند مطلعها

مرآة تبر بدت فى كف مرتعش

فقد شبه فى البيت الثانى الشمس عند مطلعها بمرآة من الذهب فى يد

(١) ينظر أسرار البلاغة شرح وتعليق الدكتور خفاجي جـ٢ ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) هو : محمد بن يوسف الشيبانى . ولد سنة (٥٩٣هـ) . وتوفى سنة (٦٧٥هـ) وهو منسوب إلى (تل أعفر) مكان قريب بالموصل وضبطه التلعفرى : بتشديد اللام وقد سافر إلى دمشق وكان من شعراء الملك الأشرف الأيوبى

مرتعشة .فقد قرن الحركة بغيرها من الأوصاف ، الشكل واللون ، وقد أصاب فى ذلك ، لأننا إذا دققنا النظر إلى الشمس ، رأينا حركة متصلة دائمة سريعة، وبسبب هذه الحركة ، تجد لنورها تموجا واضطرابا ، ولم يقتصر على الحركة ، بل ضم إليها شكل الشمس وهو الاستدارة ، وما فيها من الإشراف ، والتلألؤ.

وقد بلغ فى هذا الشبه الغاية ، إذ يوجد على أدق وجه فى المرأة الذهبية فى يد رعشاء.ومن ذلك قول الأعشى (١) يصف السفينة فى البحر وتقاذف الأمواج بها :

تقص السفين بجانبيه كما ينزو الرباح خلاله كرع (٢)

أراد أن ينقل صورة السفينة فى البحر لأهل البادية ، الذين لا يعرفون ذلك ، لأنهم لم يركبوها بما ألفوه وعهدوه ، فشبه السفينة فى انحدارها وارتفاعها ، بحركات الفصيل فى نزوه ، إذ الحيوانات الصغيرة ، يكون لها حركات متفاوته ، تصير لها أعضاؤها فى جهات مختلفة ، ويكون هناك تسفل وتصعد ، على غير ترتيب حتى لا يمكن الفصل بين حركاته لتداخلها ، فبينما تراه يثب إلى أعلى ، إذا بك تراه منحطا متسفلا ، ويهوى مرة نحو رأسه ، ومرة نحو ذنبه .

فهو ذلك أعطاهم صورة السفينة وهيئة حركاتها حين يتدافعها الموج ، وقد جاء التشبيه الذى جرد فيه هيئة الحركة عن كل وصف ، مع التفصيل والتركيب مما جعله بليغا .

---

(١) هو ميمون بن قيس ، ويكنى أبا بصير .

(٢) نقص : تثب ، والنزو : الوثوب ، والرباح كرمان ويخفف : الفصيل أو القرد وخلا من الخلو . والكرع : الغدير ، والضمير فى جانبيه يعود إلى البحر .

وفى قول المتنبى يصف كلب الصيد :

يقعى جلوس البدوى المصطلى   بأربع مجدولة لم تجدل (١)

فقد شبه هيئة كلب الصيد فى وقوع كل عضو من أعضائه فى إقعائه موقعا خاصا بهيئة البدوى فى البادية إذا اصطلى بالنار أقعى على استه ونصب ركبتيه لتصل الحرارة إلى بطنه وصدره .

فالتفصيل فى هذا التشبيه أكسبه جمالا إذ الجهات مختلفة ، ولكنه ألف بينها من ناحية الشكل ، فأتى بصورة خاصة فى هيئة سكونها .

ومنه قول الشاعر(١) فى وصف مصلوب :

كأنه عاشق قد مد صفحته   يوم الرحيل إلى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته   مواصل لتمطيه من الكسل (٢)

فنجده قد نقل منظر المصلوب من القسوة والألم ، إلى محاولة إثارة جو من الهدوء والراحة والتخفيف من الألم ، فشبهه بالعاشق الماد صفحته لتوديع أحبابه يوم رحيلهم ، فإنه يمد يده ووجه فيه اللوعة والأسى وامتقاع اللون ، ثم شبهه برجل قائم من نعاس ، مازال فيه أثره يمد ظهره ويده ، ويواصل هذه العملية .

فقد نقل لنا صورة دقيقة للمصلوب .

---

(١) هو الأخيطل : الشاعر العباسى - راجع ص ٤٣٢ معجم الشعراء للمرزبانى .

(٢)هذا مثال لهيئة السكون المضاف إليها غيرها من أوصاف الجسم ، لأنه اعتبر هيئة سكون عنقه وصفحته فى حال امتدادها مع صفرة الوجه بالموت بالحالة الموجودة فى المشبه به. واللوثة : الضعف والاسترخاء بسبب النعاس ، ولام « لتمطيه » للتقوية و « من » وبعدها تعليلية .

ففى الصورة الأولى ، لاحظ مع سكونه صفرة وجهه ، لبيان أثر الحالة التى تعرض له عند تنفيذ الحكم فيه ، وفى العاشق عند فراق أحبابه .

وكذلك فى التشبيه الثانى ، ضم إلى هيئه صورة وجهه التى تشاهد منه، صورة القائم من النعاس من تغير وجهه وصورته .

ومن ذلك نرى أن بلاغة التشبيه تزداد كلما كان فيه تفصيل ودقة فى استقصاء الصفات ، وأن هذا اللون من التشبيه هو الأحق والأجدر بأن يطلق عليه اسم التشبيه البليغ .

الخاتمة

بالنظر فيما تقدم فى ثنايا هذا البحث وما تضمنه من مباحث بلاغية نستطيع أن نقف على عدة نتائج أهمها ما يلى :

١ ـ أن التشبيه يعد بابا من أهم أبواب علم البيان الذى هو أحد علوم البلاغة وهو باب عظيم القدر ، كبير النفع ، جم الفائدة ، لأنه أعلق بالطبع ، وألذ للنفس .

٢ ـ أشارت النقول الواردة عن العلماء إلى كثرة وروده فى القرآن الكريم ، وكلام العربْ لدرجة أن المبرد قد صرح بقوله « إن التشبيه جار كثير فى كلام العرب ، حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد » .

٣ ـ أن الشائع والمشهور عند البلاغيين هو أن التشبيه البليغ هو ما حذف فيه الوجه والأداة ؛ وذلك لأن حذف الأداة يشعر بحسب الظاهر بجريان أحدهما على الآخر ، وصدقه عليه فيتقوى الإتحاد بين المشبه والمشبه به ، وحذف الوجه يفيد بسحب الظاهر ـ أيضا ـ كون جهة الإلحاق كل وصف ، إذ لا ترجيح لبعض الأوصاف على بعض فى الإلحاق عند الحذف ، وذلك يقوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به .

٤ ـ أن الذى عليه أكثر البلاغيين أن مثل هذا النوع من التشبيه يفيد القوة ودعوى الاتحاد فى كل الصفات بين المشبه والمشبه به فى الظاهر لا كونه بليغا مطلقا ، ولذا يرى بعضهم تسميته بالتشبيه القوى المؤكد .

٥ ـ أنه إذا كان الشائع والمشهور هو أن التشبيه البليغ ما حذف فيه الوجه والأداة فإن الخطيب وغيره يرى أن التشبيه البليغ هو التشبيه البعيد الغريب ، حيث إن بلاغة التشبيه منظور فيها إلى كونه بعيدا غريبا ، يحتاج فى استخراج وجهه إلى تأمل وتدقيق نظر للطف المعنى فيه ودقته ؛ ولأن الشئ إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان نيله أحلى ، ووقعه فى النفس الطف ، وبالمسرة أولى .

٦ - أنه بناء على ما تقرر يمكن أن نقول : إن التشبيه البليغ ليس قاصرا على ما حذف فيه الوجه والأداة من أساليب التشبيه بل إن هذا الوصف يطلق أيضا على كل تشبيه جيد لطيف المعنى ، دقيق التصوير ، يمس القلب ويحرك المشاعر والوجدان ، يحتاج فى إدراكه والوقوف على أسراره إلى تأمل وتدقيق نظر ، حيث إن التشبيهات الجيدة لا ترجع فى جودتها إلى حذف الوجه والأداة فقط ، وإنما ترجع فى جودتها وبلاغتها إلى أمور كثيرة كما رأينا .

٧ - أن المقصود بالبليغ هنا من التشبيه هو ما بلغ درجه القبول لحسنه مما يتخاطب به أذكياء البلغاء ويستحسنونه فيما بينهم ، فهو مأخوذ من البلاغة بمعنى الحسن واللطف مجازا ، لا من البلاغة بمعنى مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ لأن التشبيه المبتذل قد يطابق مقتضى الحال لسوء فهم السامع ، ومع هذا لا يقال عليه بليغ لأنه يتمكن كل أحد منه بلا طلب وتأمل فلا يحصل الشوق إليه.

٨ - أن الفرق بين التشبيه الغريب البعيد والتعقيد ، هو أن منشأ الخفاء فى التشبيه الغريب البعيد دقة المعنى ولطفه ، وترتيب بعض المعانى على بعض لحكمة دقة حسن المناسبة مع صحة ترتيب ألفاظه .

أما التعقيد فهو كون الكلام غير ظاهر الدلالة على المراد لخلل فيه ، بأن يكون غامضا غير مفهوم المعنى بسبب تعقيد ألفاظه لسوء تركيبها ، أو تعقيد معانيها لخلل واقع فى انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم ، بحسب اللغة إلى المعنى الثانى المقصود لكثرة الوسائط مع خفاء القرائن .

٩ - هناك من يرى أن التشبيه المحذوف الوجه والأداة استعارة ، وليس تشبيها ورأينا حجتهم فى ذلك ، وهناك من يرى أنه تشبيه وليس استعارة . وهذا الرأى هو ما أميل إليه ؛ لأنه الظاهر ، وعليه أكثر البلاغيين ، ولم يحتج لتقدير أو تأويل ، وهو الأولى والأحق بالقبول .

١٠ ـ أن التشبيه أسلوب فنى جميل يهدف إلى توضيح فكرة أو تقريب معنى من آخر ، أو تمثيل شئ بشئ ، مدحا أو ذما ، تزيينا أو تقبيحا ، ترغيبا أو ترهيبا ، كما أن بلاغته تكمن فى قوة تأثيره ، وإبرازه المعقول فى صورة مجسمة ، وإلباسه المعنوى ثوب المحسوس ، والايجاز فى العبارة ، وإيضاحه المعنى ، والمبالغة فى الوصف ، وإصابة المعنى ، ورفع الأستار عن الحقائق ، وتقريب المراد للعقل ، وعرضه فى صورة مشوقة .

١١ ـ أن التشبيه البليغ صاحب النصيب الأكبر والحظ الأوفر من هذه القيم الفنية ، والآثار البلاغية فى إيضاح الصورة البيانية ـ إذ فى هذا النوع من التشبيه يتنافس البلغاء ، ويتبارى الأدباء ، ويتسابق الكتاب والشعراء .

تم بحمد الله وتوفيقه

أهم المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- إرشاد السارى إلى شرح صحيح البخارى للقسطلانى.

٣- الجامع الصغير للسيوطى، مطبعة المشهد الحسينى.

٤- سنن الترمذى، تحقيق أحمد محمد شاكر.

٥- صحيح مسلم، شرح المنياوى.

٦- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الغد العربى.

٧- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٨- أساس البلاغة لمحمود الزمخشرى ت الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٩- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى، شرح وتعليق السيد محمد رشيد رضا، الطبعة السادسة، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، مطبعة محمد على صبيح.

١٠- الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة لمحمد بن على محمد الجرجانى، ت الأستاذ الدكتور/ عبد القادر حسين، دار نهضة مصر، بدون تاريخ.

١١- الإشارة فى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز - لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، دار الحديث بالقاهرة، بدون تاريخ.

١٢- الأغانى - أبو الفرج الأصفهانى - دار الفكر - بدون تاريخ.

١٣- الإيضاح بشرح عبد المتعال الصعيدى - مكتبة الآداب بالجماميز / الطبعة الرابعة.

١٤- بحوث فى البيان، د. محمود السيد شيخون.

١٥- البداية والنهاية للإمام الحافظ ابن كثير / دار الفكر العربى.
١٦- البديع لعبد الله بن المعتز، تعليق اغناطيوس/دار السيرة بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
١٧- البلاغة العربية فى ثوبها الجديد للدكتور بكرى شيخ أمين/ دار العلم للملايين - بيروت لبنان ١٩٨٧م.
١٨- البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ / تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون.
١٩- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها - أحمد المراغى.
٢٠- ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن للرمانى والخطابى وعبد القاهر الجرجانى، ت/محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ.
٢١- حاشية الدسوقى على شرح السعد. ضمن شروح التلخيص، دار السرور، بيروت - لبنان.
٢٢- دلائل الإعجاز. الإمام عبد القاهر الجرجانى، تحقيق وشرح/ أ.د/محمد عبد المنعم خفاجى - مكتبة القاهرة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٢٣- ديوان الفرزدق.
٢٤- ديوان المتنبى بشرح العكبرى بتحقيق مصطفى محمد السقا وغيره.
٢٥- شرح التلخيص أكمل الدين البابرتى ت/د.محمد مصطفى رمضان صوفيه، المنشأة العامة للنشر والتوزيع - طرابلس، ط١، ١٩٨٢م.
٢٦- الصناعتين الكتابة والشعر لأبى هلال العسكرى - تحقيق الدكتور/ مفيد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت - ط الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٢٧- طبقات الشعراء لابن المعتز، ت/عبد الستار أحمد فراج - ط الثانية، دار المعارف بمصر.

٢٨- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم خصائص الإعجاز يحيى بن حمزة بن على بن ابراهيم العلوى - دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢٩- عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح بهاء الدين السبكى. ضمن شروح التلخيص.

٣٠- عقود الجمان فى المعانى والبيان لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى بشرح العلامة المرشدى - ط الثانية.

٣١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل لمحمود بن عمر الزمخشرى، دار المعرفة - بيروت.

٣٢- لسان العرب لابن منظور المصرى - دار المعارف - بدون تاريخ.

٣٣- المثل الثائر فى أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير، تحقيق أحمد الحوفى، وبدوى طبانة - دار نهضة مصر - بدون تاريخ.

٣٤- المطول لسعد الدين التفتازانى، مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ.

٣٥- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص - عبد الرحمن العباسى - ت/محيى الدين عبد الحميد/ عالم الكتب - بيروت ١٣٦٧هـ-١٩٤٧م.

٣٦- مفتاح العلوم، لأبى يعقوب السكاكى، مصطفى البابى الحلبى. ط الثانية ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٣٧- مواهب الفتاح، لابن يعقوب المغربى (ضمن الشروح) طبعة بيروت. لبنان.

٣٨- نظرات فى علم البيان، أ.د/ محمد عبد الرحمن الكردى - مطبعة السعادة، ط الثالثة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣٩- نقد الشعر: لأبى الفرج قدامة بن جعفر، ت/كمال مصطفى، مكتبة الخانجى بالقاهرة، ط الثالثة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٤٠- نهاية الإيجاز فى دراية الاعجاز، فخر الدين الرازى، ت/بكرى شيخ أمين، دار العلم للملاين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
٤١- الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى الجرجانى، عيسى الحلبى، ط الثالثة.
٤٢- الكامل للمبرد.
٤٣- زهرة الآداب - الحصرى - عيسى الحلبى - ١٩٥٣م.
٤٤- الموشح للمرزبانى.
٤٥- معجم البلدان/ ياقوت الحموى، دار صادر - بيروت - ١٩٥٧م.
٤٦- معجم الأدباء.
٤٧- التصوير البيانى، أ.د/ محمد أبو موسى.
٤٨- معجم الشعراء - محمد بن عمران بن موسى المرزبانى، ت/ عبد الستار أحمد فراج، عيسى الحلبى، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

فهرس الموضوعات

رقم الايــداع بــدار الكتــب
١٤١٣٢ / ١٩٩٧
بتاريخ ٢٥/١١/١٩٩٧

الترقيم الدولى

977 - 298 - 030 - 4